

دلائل الإعجاز

ومما لا يكونُ العطفُ فيه إلاَّ على هذا الحدِّ قوله تعالى : (وَمَا كُنْتُمْ بِرِجَالٍ بِرٍ)
الغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ . ولكنَّا
أَنْشَأْنَا نَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتُمْ ثَاوِيًا فِي أَهْلٍ
مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ) . لو جَرِيتَ على الظاهر
فجعلتَ كلَّ جملةٍ معطوفةٍ على ما يليها مَدْعٍ منه المعنى وذلك أنه يلزمُ منه أن
يكونَ قوله : (وَمَا كُنْتُمْ ثَاوِيًا فِي أَهْلٍ مَدْيَنَ) معطوفاً على قوله ()
فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ) وذلك يقتضي دخوله في معنى " لكن " ويصيرُ كأنه قيل :
ولكنَّا ما كنتَ ثَاوِيًا وذلك ما لا يخفى فسادُهُ . وإذا كانَ ذلكَ بانَ منه أنه ينبغي أن
يكونَ عطفُ مجموعُ (وَمَا كُنْتُمْ ثَاوِيًا فِي أَهْلٍ مَدْيَنَ) إلى (مُرْسِلِينَ) على
مجموعِ قوله (وَمَا كُنْتُمْ بِرِجَالٍ بِرٍ) إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ)
إلى قوله (الْعُمُرُ) .

فإن قلت : فهلاً قدَّرتَ أن يكونَ (وما كنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلٍ مَدْيَنَ) معطوفاً على ()
وما كنتَ من الشاهدين (دونَ أن تزعمَ أنه معطوفٌ عليه مضموماً إليه ما بعده إلى قوله
" العمرُ " قيل : لأنَّنا إن قدَّرتَ ذلكَ وجَبَ أن يُنْذَوَى به التَّقديمُ على قوله : ()
ولكنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا) وأن يكونَ الترتيبُ : وما كنتَ بِرِجَالٍ بِرٍ إِذْ قَضَيْنَا
إلى موسى الأمرَ وما كنتَ من الشاهدين وما كنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلٍ مَدْيَنَ تتلو عليهم
آيَاتِنَا ولكنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فتطاولَ عليهم العمرُ ولكنَّا كنا مُرْسِلِينَ وفي ذلك إزالةُ
(لكن) عن موضعِها الذي ينبغي أن تكونَ فيه . ذاكَ لأنَّ سبيلَ (لكن) سبيلُ (إلاَّ)
فكما لا يجوزُ أن تقولَ : جاءني القومُ وخرجَ أصحابُكُ إلا زيدا وإلا عمراً بجعلِ " إلاَّ
زيداً " استثناءً من جاءني القومُ و " إلاَّ عمراً " من خرجَ أصحابُكُ . كذلك لا يجوزُ أن
تصنعَ مثلاً ذلكَ بلكن فتقولَ : ما جاءني زيدٌ وما خرجَ عمروٌ ولكنَّ بكراً حاضراً ولكنَّ
أخاكَ خارجٌ : فإذا لم يَجُزْ ذلكَ وكان تقديرُك الذي زعمتَ يؤدي إليه وجبَ أن تحكم
بامتناعه فاعرفه .

وهذا وإنما تجوزُ نيَّةُ التأخيرِ في شيءٍ معناه يَقتضي له ذلكَ التأخيرَ مثل أن
كونَ الاسمَ مفعولاً لا يَقتضي له أن يكونَ بعدَ الفاعلِ فإذا قُدِّمَ على الفاعلِ نُويَ
به التأخيرُ . ومعنى (لكن) في الآية يَقتضي أن تكونَ في مَوْضِعِها الذي هي فيه فكيفَ
يجوزُ أن يُنْذَوَى بها التأخيرُ عَنده إلى موضعٍ آخرَ

